القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري : دراسة مسحية

عبد الحفيظ مقدم
أستاذ محاضر - معهد علم النفس
جامعة الجزائر

تمهيد :

يستعرض هذا المقال نتائج الدراسة المسحية التي أجريت في 1987 والتي استهدفت وصف نظام القيم السائد في المجتمع الجزائري وهذا من خلال عينة تمثل مختلف المستويات التنظيمية في المؤسسات الصناعية والتي تم اختيارها ، من عدة مناطق جغرافية من الوطن ، وقد أظهرت النتائج على أن قيم الأفراد هي مؤشرات اجتماعية هامة تعكس الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية والإجتماعية السائدة في البلد .

مقدمة :

ازداد الاهتمام في العقود الاخيرة بدارسة القيم الشخصية وهذا لكونها تشكل من جهة العناصر الاساسية في ثقافة المجتمع ، ولكونها من جهة أخرى تشكل المركبات الاساسية في شخصية الفرد ، فالقيم هي المعايير التي تحدد ما هو حسن ومرغوب فيه وما هو مفضل وهي التي توجه وتحدد السلوك والأهداف والاتجاهات (روكايتش Rokheach 1973) وهي تعبر عن حاجات الفرد ورغباته ، والقيم تساعد الفرد على تحديد مدركاته وفهمه لنفسه أولا ولغيره ثانيا ، والقيم يكتسبها الفرد منذ صغره عن طريق التنشئة الاجتماعية في الاسرة وفي المدرسة وفي المجتمع الحالي ، أو عن طريق ملاحظاته لسلوك الآخرين (لينتون Linton, 1945) وفي كلتا الحالتين ترسخ القيم مع الزمن لتصبح مركبات أساسية في شخصية الفرد توجه سلوكه وتحدد أهدافه .

ولقد تعرض مفهوم القيمة لعدة استعمالات وكان موضوع جدال في الفلسفة وعلم الاجتماع

والانثروبولوجيا وأصل الكلمة مستمد من الاقتصاد أين كانت تعني قيمة الشيء ، أما المفهوم الحديث للقيمة فيتراوح بين النظرة العامة التي تعتبر القيمة كموضوع لأي اهتمام (بيري Perry, 1926) الى النظرة التي ترتبط بالمعتقدات كقيم اخلاقية مطلقة (سكوت Scott, 1955)، ويرى (لامونت Lammont, 1955) على ان معظم التعاريف تقع في واحدة من فئتين : الأولى وتعرف القيمة على أنها شيء أو ملكية أو ما يرتبط به شيء معين كما هو الحال في نظرية الاقتصاد ، والثانية ترى أن القيمة هي نشاط يحدث في ذهن الفرد . ونحن هنا نهتم بالمفهوم الثاني للقيمة ونفسرها على أنها ترتبط بالافكار التي تجعلنا نعتبر بعضا من أنماط السلوكات (مثل التسامح ، المساعدة ، الطاعة) وبعضا من الاهداف الغائية (مثل الحرية ، المساواة ، والاحترام الذاتي) كمفاهيم تستحق السعي لتحقيقها والتي اذا اشبعت تجلب الرضا والسعادة . ومن بين أهم التعاريف التي نالت اتفاق معظم المنظرين في العلوم الاجتماعية تعريف كل من كلوكهوهن وتعريف روكايتش. فمثلا يعرف كلوكهوهن Kluckhohn 1951 القيمة بأنها مفهوم ضمني أو صريح ، مميز من مميزات الفرد أو خاصية من خصائص الجماعة حول ما هو مرغوب فيه والذي يؤثر على اختيار أنماط ووسائل وأهداف الفعل . أما روكايتش Rokeach 1973 فيعرف القيمة بأنها اعتقاد ثابت نسبيا على أن أنماطا محددة من السلوك وأهدافا غائية تكون شخصيا واجتماعيا مفضلة على نقيضاتها من أنماط السلوك والأهداف الغائية الأخرى . ويبدو من التعريف الاخير أن روكايتش يميز بين نوعين من القيم : النوع الأول وهو القيم الغائية أو الأهداف النهائية التي يسعى الفرد الى تحقيقها كالحرية والاحترام الذاتي والحياة المريحة ، والنوع الثاني هو القيم الوسائلية أو الانماط السلوكية المتبعة لتحقيق الأهداف الغائية (كالجدارة ، والشجاعة ، والطاعة) ، وتشكل القيم الغائية والوسائلية نظام القيم الذي يتضمن الترتيب التدريجي لهذه القيم ، ووفقا لهذا النظام أو السلم التدريجي فان الافراد لا يختلفون في عدد القيم وانما يختلفون في الأولوية التي يعطونها لها ، فقيمة الحرية مثلا توجد لدى كل الناس في كل الثقافات لكنهم يختلفون في الألوية التي تعطى لها ، فهناك من يضعها في قمة نظامة القيمي وهناك من لا يعطيها أهمية ، وقد وجد روكايتش (1973) عن طريق تحليل المحتوى لأعمال كل من هتلر ولينين أن كل واحد منهما يرتب الحرية في المنزلة الاخيرة من سلم قيمها غير أنها يختلفان في ترتيبها لقيمة المساواة ، فهتلر يرتبها في المراتب الاخيرة في حين يرتبها لينين في المراتب الأولى .

وتجدر الاشارة الى أنه على الرغم من اختلاف المنظرين في تعريف القيمة إلا أنهم متفقون على أن القيم تقوم مقام المعايير في توجيه السلوك لتحقيق عدة أهداف في حياتنا اليومية ، وعليه فان دراستها تكتسي أهمية كبيرة ذلك أن معرفة قيم المجتمع تساعد على فهم سلوك الافراد واتجاهاتهم وبالتالي اتخاذ التدابير الضرورية لتعزيزها أو تغييرها ، والهدف من هذه الدراسة هو محاولة الكشف عن القيم السائدة في المجتمع الجزائري .

طريقة البحث

العينة : اشتملت عينة البحث على 338 فردا من مختلف الوحدات الانتاجية التالية : وحدتي شراقة ودلس لصناعة الأحذية ، وحدات باب الوادي ، وبريكة ، بجاية وبويرة لصناعة النسيج ووحدتي البليدة والشلف للمصبرات ، وتتكون العينة من 67,5 في المئة ذكورا و32,5 في المئة إناثا وكما تشمل على المستويات التنظيمية الثلاثة التالية : 18 في المئة من المديرين ، و21,5 في المئة من المشرفين و55,5 في المئة من العمال يبلغ المتوسط العام لعمر أفراد العينة 34,44 والانحراف المعياري 8,86 .

مقياس القيم

اعتمد في قياس القيم على مقياس روكايتش للقيم Rokeach value survey وهذا بعد تعديله وتكييفه ليتلاءم مع مجتمع العينة ، والمقياس يتكون من قائمتين من القيم ، احداهما قائمة القيم الغائية التي تتكون من أحد عشرة قيمة هي الحرية المساواة ، الاحترام الاجتماعي ، تأمين المستقبل ، الاحترام الذاتي ، التحصيل ، التطور ، العلاقات ، المتعة ، حياة نشيطة ، وحياة مريحة . والقائمة الثانية تتضمن القيم الوسائلية التي تعتبر أنماطا محددة من السلوك وقد صيغت على شكل صفات كما يلي : طموح ، منضبط ، مستقل ، كفؤ ، مبدع ، مخلص ، مرح ، مطيع ، متسامح ، مسؤول ، ومساعد (أنظر جدول 1) .

ونشير الى أن كل مصطلح من هذه المصطلحات متبوع بشرح مختصر بين قوسين وقد طلب من كل فرد من أفراد العينة أن يقرأ كل قائمة قراءة متانية .

جدول (1) قائمة القيم الغائية والوسائلية

القيم الغائية	القيم الوسائلية
التطور	طموح
ضمان المستقبل	منضبط
علاقات جيدة	مستقل
مساواة الفرص	كفؤ
الحرية	مبدع
حياة مبتهجة	مخلص
الاحترام الذاتي	منشرح
الاحترام الاجتماعي	مطيع
الانجاز	متسامح
حياة نشيطة	مسؤول
حياة مريحة	مساعد

ثم يرتب القيم في كل قائمة من 1 الى 11 وهذا حسب الأهمية أو الأولوية التي يعطيها لكل قيمة بالمقارنة مع القيم الأخرى في القائمة ، وهذا بوضع رقم 1 بجانب القيمة التي تكتسي أهمية كبيرة بالنسبة إليه ورقم 2 بجانب القيمة التي تليها في الأهمية وهكذا الى غاية القيمة الأخيرة التي تحمل رقم 11 .

النتائـج

تجدر الاشارة الى ان النتائج الحالية تعتبر ربما المحاولة الأولى لوصف القيم في المجتمع الجزائري بطريقة قياسية . (والجدول 2) يتضمن قائمتي القيم الغائية والوسائلية كما رتبها أفراد هذه العينة ، وإذا اعتبرنا على أن هذه العينة تمثل نسبيا المجتمع الجزائري فإنه يمكن اعتبار هذا الترتيب على أنه يعكس اهتمامات الجزائريين من خلال هذه العينة، وبالنظر الى الجدول نجد أن القيم الغائية التي احتلت المراتب الثلاثة الأولى هي ضمان المستقبل ، الاحترام الذاتي والحرية متبوعة بالاحترام الاجتماعي ، علاقات جيدة ، التحصيل ، حياة مريحة . والتطور في حين ظهرت المساواة ، حياة نشيطة وحياة مبتهجة في المراتب الأخيرة ، ويوضح الجدول أيضا أن القيم الوسائلية التي احتلت المراتب الثلاثة الأولى من حيث الأهمية هي ملخص ، كفوء ومطيع متبوعة بطموح ، منضبط ، مستقل ، مبدع ، ومسؤول ، وجاد ، متسامح ، مساعد ومرح في المراتب الأخيرة من القائمة .

جدول (2) ترتيب القيم الغائية والوسائلية حسب أفراد العينة

القيم الغائية	الترتيب حسب الأهمية	القيم الوسائلية	الترتيب حسب الأهمية
ضمان المستقبل	1	مخلص	1
الاحترام الذاتي	2	كفوء	2
الحـرية	3	مطيع	3
الاحترام الاجتماعي	4	طموح	4
علاقات جيدة	5	منضبط	5
التحصيل	6	مستقل	6
حياة مريحة	7	مبدع	7
التطور	8	مسؤول	8
المساواة	9	متسامح	9
حياة نشيطة	10	مساعد	10
حياة مبتهجة	11	مـرح	11

أولا : القيم الغائية

ضمان المستقبل

إن ترتيب القيم بهذه الطريقة يعكس عدة مظاهر في المجتمع الجزائري (السياسية ، والاقتصادية والثقافية) وإذا اعتبرنا ان القيم تعبر عن حاجات الافراد فإن ترتيب ضمان المستقبل في هذه المرتبة الأولى يعكس اهتمام الجزائريين بالحاجة الى الأمن والاستقرار فمن الناحية الاقتصادية يعرف المجتع الجزائري منذ فترة ارتفاعا غير عادي في مستوى المعيشة بالنسبة للاغلبية الساحقة من الشعب، وهذا يتمثل في الارتفاع المذهل للاسعار الناجم عن ندرة المواد الغذائية الأساسية وسوء توزيعها الى جانب انخفاض الأجور التي لا تتماشى مع تكاليف المعيشة بالاضافة

الى أزمة السكن التي تتفاقم يوما بعد يوم . ان الاهتمام بتأمين المستقبل يعبر أيضا عن الوضعية السياسية غير المستقرة التي يشعر بها الفرد الجزائري ، فهو غير مطمئن للنظام السياسي السائد قبل أحداث أكتوبر بالاضافة الى العلاقات المتوترة مع جيراننا ، ويبدوا ان الشعور بعدم الاستقرار السياسي ظاهرة عامة في معظم الدول العربية ، فقد وجد علي والشاخيس 1987 Ali and Shakhis على سبيل المثال أن الأمن يحتل أهمية كبيرة لدى شعوب الدول العربية ، وأخيرا وليس آخراً ، يعكس الاهتمام بتأمين المستقبل الشعور بعدم الاستقرار نتيجة لارتفاع نسبة البطالة وشبه الطرد من المؤسسات ، خاصة بعد نداء رئيس الجمهورية أمام مديري المؤسسات الإنتاجية الذي ينص على رفع الدعم الذي كانت تقدمه الحكومة للمؤسسات الفاشلة وأنه يجب على كل المؤسسات أن تعتمد على مصادرها الخاصة في التمويل وأن تسعى الى تحقيق الأرباح والكفاءة ، ونتيجة لهذا بدأ الفرد يشعر بأن استقراره المهني أصبح مهددا وأنه بدأ يشك في أنه يستطيع أن يضمن مستقبلا مهنيا مريحا ، ومن المعلوم أن الأفراد يبحثون عن الأمن والاستقرار من خلال ايجاد عمل مستقر ودخل منتظم وبناء على سلم الحاجات لماسلو Maslow 1954 فإن الحاجة الى الأمن تعتبر الماسية يجب اشباعها قبل الحاجات والقيم التي تأتي في المراتب العليا .

الإحترام الذاتي :

يتحقق الاحترام الذاتي عن طريق القيام بأعمال مشرفة وانجاز أشياء تجلب الشعور بالافتخار والاعتزاز . والجزائري يبحث عن الاحترام في داخل نفسه ويسعى الى تحقيق الرضا حول حياته في ذهنه ، ويبدو أن هناك عاملين رئيسيين يلعبان دورا هاما في جعل هذه القيمة تأتي في المرتبة الثانية من نظام القيم لافراد هذه العينة، احدهما يعمل على تعزيز وتقوية الاحترام الذاتي والثاني يعمل على اضعافه وتدميره . العامل الأول وهو نوعان ، النوع الأول مستمد من الشعور بالانتماء الى ثورة نوفمبر التي حاربت ليس فقط اشرس استعمار عرفه التاريخ المعاصر وإنما حلفاءه أيضا في الحلف الأطلسي الذين كانوا يساعدون فرنسا عسكريا وسياسيا . وقد تعزز هذا الشعور عندما أدرك الشعب الجزائري مدى اعجاب العالم وتقديره لشجاعة وتضحية هذا الشعب خلال الثورة التحريرية ، بالاضافة الى بروز اسم الجزائر على الساحة العالمية خلال السبعينات، أين احتلت الجزائر المراكز القيادية في المحافل الدولية .

والنوع الثاني الذي يعمل أيضا على تعزيز الاحترام الذاتي هو التنشئة الدينية . تعمل تعاليم الإسلام على صيانة وتعزيز التقدير الذاتي للفرد بحيث يستطيع معالجة المشاكل اليومية وتحملها عن طريق الصبر وطلب العون من الله . ويذكر محمد الغزالي أن الصبر والأمل هما أسلحة اليوم التي تحصن المسلم من الاضطرابات النفسية . ولقد وجد باركوف Barkouf (1975) في دراسة له حول إستراتيجيات التقدير الذاتي في دولة النيجر على أن الاسلام يلعب دورا رئيسيا في صيانة

التقدير الذاتي للفرد . وفي مقارنته بين حالتين تعيشان نفس الظروف لكنهما من ديانتين مختلفتين احداهما سوية والأخرى غير سوية قال ما يلي :

«هل الإسلام هو السبب في الثقة التي تميز دايا وسوء الحال الذي يميز شيدا ، افتراضات بديلة محتملة .. لكن يبدو أكثر احتمالا ان تمسك دايا بالإسلام هو الذي يحميه من فساد الأخلاق وضعف التقدير الذاتي الذي يدمر الجانب الوظيفي لشيدا» (ص . 385) .

فالتعاليم الإسلامية تنمي في الفرد المسلم ميكانيزمات دفاعية (موانع) معرفية نفسية قوية تعمل على تبرير الأحداث التي يتعرض لها وبحيث تجعله لا يفقد الأمل نتيجة لمعرفته بأن كل شيء ممكن في حياة الفرد وأن الخير والشر يترافقان ، وأن أقوى الناس أقواهم صبرا ، وهناك آيات عديدة في القرآن الكريم تعمل على صيانة الذات من الانهيار وهذه بعضها على سبيل المثال :

﴿**لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا**﴾ (سورة الزمر : 53) .

﴿**لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ (سورة الحديد : 23) .

﴿**فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا**﴾ (سورة الشرح : 5 ، 6) .

﴿**واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور**﴾ (سورة لقمان : 17) .

أما العامل الثاني الذي يبدو أنه يعمل على اضعاف الاحترام الذاتي وربما الى تدميره فهو أيضا على نوعين . النوع الأول وهو طريقة التربية أو التنشئة الاجتماعية التي يمارسها الآباء على أبنائهم والتي يغلب عليها الطابع التلقيني التسلطي الممزوج باللوم والتأنيب التي تنمي في الفرد روح الطاعة والانقياد ، والتي في الحقيقة تعمل على تنمية الشعور بالنقص الذي يؤدي بالفرد الى عملية تعويض لهذا الشعور بالنقص بالتركيز على كل مايضفي نوعا من الاحترام للذات كميكانيزم دفاعي لوقايتها من الضعف والتدمير .

والنوع الثاني يرجع الى المعاملة اليومية التي يتلقاها الفرد في مختلف مرافق الحياة خاصة في الادارات والمصالح الصحية والعمومية ، حيث يصل الفرد في بعض الأحيان الى الشعور بفقدان الكرامة نتيجة للتعسف واللامبالاة التي يقابل بها ، ومن المعلوم أن الاحترام الاجتماعي يعزز الاحترام الذاتي ، فانعدام الاحترام الاجتماعي يجعل الفرد يركز أكثر على الاحترام الذاتي كوسيلة دفاعية ضد المؤثرات الخارجية التي تعمل على الانتقاص من كرامة الإنسان .

الحرية :

جاءت قيمة الحرية في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية . واهتمام الإنسان الجزائري بالحرية يمكن أن يكون متأثرا بعدة عوامل ابتداء من التحرر من القيود والاضطهاد الاستعماري الى الشعور بحرية تحقيق الذات وحرية اتخاذ القرارات . ان الفترة الطويلة التي عاشها الشعب الجزائري تحت نير الاستعمار والتي اختتمت بثورة شرسة دامت أكثر من سبع سنوات والتي راح

ضحيتها ما يقارب المليون ونصف المليون من الشهداء مازالت عالقة في ذاكرة كل الجزائريين . وهم يعتبرون أن هذا المليون والنصف هو ثمن الحرية ، فكيف لا يعطونها أهمية قصوى للمحافظة عليها ، وكل غال ثمين كما يقول المثل . والمصدر الثاني الذي جعل الأفراد يعطون أهمية للحرية يرجع ربما الى الشعور بالقيودالسياسية والأدارية والثقافية التي تمنع الفرد من تحقيق أهدافه ، انه الشعور بانعدام النفوذ حول مايمكن القيام به فالمدير في وحدته يشعر بأن ليس له سلطة أو نفوذ لاتخاد أبسط القرارات تتعلق بوحدته ، والعامل في عمله يشعر بانعدام الحرية في القيام بإضراب للمطالبة بحقه . والمثقف والمحامي حرمت عليهم حرية التعبير ، والمرأة لها ربما قيود أكثر من الرجل فبعضها ليس لها الحرية ربما حتى في رفض ما يهم مستقبلها . فهذه بعض الأمثلة التي جعلت الأفراد يهتمون بالحرية فهي كما نلاحظ نتيجة للحرمان منها . وقد جاء في تقرير موسوعة العالم الثالث (1987) على أن الجزائر ترتب في المرتبة السادسة (ما قبل الأخيرة) من حيث الحقوق المدنية والسياسية .

ثانيا : القيم الوسائلية :

الإخلاص

وهو نمط من الأنماط السلوكية الأخلاقية التى تعني أيضا الصدق والوفاء بالعهد والتعامل بالانصاف ، وقد احتلت المرتبة الأولى في نظام القيم . ويرجع اهتمام الجزائري بصفة الإخلاص الى عاملين رئيسيين أحدهما ايجابي والآخر سلبي . فالأول يرجع الى التنشئة الأخلاقية والدينية بصورة خاصة التي تسعى الى تنمية هذه الخاصية في الفرد فالإخلاص في الإسلام من أهم الصفات التي يجب على الفرد المسلم الاتصاف بها فتعاليم الإسلام التي يتلقاها الفرد في البيت والمدرسة وخلال وسائل الاعلام تحث الفرد على أن يكون صادقا ومخلصا في كل معاملاته وهذا سواء في البيع والشراء ، أو في الوفاء بالعهد أو أداء الأمانة ، وهناك عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية تتكرر في مناسبات كثيرة لدرجة يعرفها العام والخاص منها على سبيل المثال ما يلي :

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الإسلام﴾ (سورة الصف : 7) .

﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ (سورة الأحزاب : 24) .

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً﴾ (سورة النساء : 135) .

﴿وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا ، وأوفو الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ (سورة الإسراء : 34 – 35) .

والعامل الثاني الذي أثر على ابراز قيمة الاخلاص يرجع الى الظروف اليومية التي يعيشها الفرد وعلى غرار بلدان العالم الثالث نجد أن ندرة المواد الأساسية وسوء التنظيم والادارة بالاضافة الى الرشوة والمحسوبية من أهم المظاهر التي يعرفها المجتمع الجزائري في كل جوانب الحياة . فالفرد الذي يعي تماما أهمية الصدق والاخلاص قد يجد نفسه في وضعية ترغمه على الكذب في سبيل تحقيق حاجته فالمدير أو السياسي قد يكذب باعطاء وعود من أجل تهدئة الأوضاع وهو يعلم أنه لا يستطيع الوفاء بها . والقاضي قد يصدر حكما ظالما وغير عادل وهو يعلم ذلك لكنه مجبر على فعله . والصحافي يكذب أو يخفي الحقيقة لأنه مطالب بذلك وهكذا . وأصبح الجميع يدرك هذا الخطر الذي يهدد المجتمع وفقدت الحكومة مصداقيتها وفقد الشعب ثقته لدرجة أنه يلجأ الى وسائل الاعلام الأجنبية ليسمع الأخبار عن بلاده .

الكفاءة :

تعني أيضا الجدارة والبراعة جاءت في المرتبة الثانية من حيث الأهمية ، وهذا الاهتمام بالكفاءة يكون قد تأثر بعاملين : أولهما التنشئة الاجتماعية وثانيهما ارتباط الكفاءة بما يسميه سميث Smith 1969 بالبنية الاجتماعية Social structure التي تتضمن النفوذ والاحترام والفرصة ، فالتنشئة الاجتماعية في المنزل خاصة كثيرا ما تستعمل العقاب المادي والمعنوي لتنمية روح المنافسة والجدارة لدى الأطفال فالآباء يتوقعون من أبنائهم الاعتماد على أنفسهم في معظم الحالات ، وكثيرا ما تستعمل التعبيرات مثل : «عندما كنت في سنك كنت أعمل كذا وكذا» كعقاب معنوي وكوسيلة لتوليد التوتر Tension لدى الفرد والذي يؤدي الى تكوين روح الكفاءة والجدارة والإعتماد على الذات . وكثيرا ما يستعمل الآباء المقارنة بين القرناء ، فحينما يفشل الطفل في انجاز شيء معين أو حينما يشعر الأباء بأن طفلهم ينقصه الشعور بالتحصيل أو الانجاز يلفتون انتباهه الى قرنائه الذين أثبتوا جدارتهم قائلين له : «أنظر الى فلان لماذا لم تفعل مثله» أو «يجب أن تكون مثل فلان» فهذا النوع من المعاملة يكوّن لدى الطفل الشعور بوجوب الاتصاف بالكفاءة لكي يجنب نفسه العقاب المعنوي وربما المادي من جهة ، ومن جهة أخرى لينال المكافأة المعنوية وربما المادية نتيجة لكفاءته وتحصيله ، وقد أشار بومريند وبلاك في مانرو (Monroe 1975) على أن التنشئة الاجتماعية التي تتميز بالاثارة الفكرية وتوليد التوتر ترتبط بمظاهر متعددة من الجدارة .

بالاضافة الى هذا نجد أن الكفاءة مهما كان نوعها فكرية أو تقنية أو اجتماعية أو سياسية تكسب صاحبها الاحترام والنفوذ وارتفاع نسبة الفرص المتاحة لصاحبها فاهتمام الجزائري بالكفاءة قد يكون حينئذ نتيجة لادراكه لارتباط الكفاءة بهذه الجوانب الهامة .

الطاعـة :

ان اعطاء الأهمية للطاعة من طرف أفراد هـذه العينـة قـد يرجع أيضـا الى عـاملين : الأول ويرجع الى المعايشة اليومية والثاني الى التنشئة الاجتماعية . فالمعايشـة اليوميـة في المجتمع الجزائري تتميز بـالتنـاقض بين الشعـارات التي تردد الامتثـال للقوانين وان القـانون فوق الجميـع ، وبين مـا يلاحظ يوميا وفي عدة مجالات من تجـاوزات متكررة للقوانين خـاصـة من طرف أولئـك الـذين يضعونهـا أو ممن يتـوقـع منهم تطبيقهـا ، وأصبـح مصطلـح بيستـون Piston أو «المعرفـة» بـالمعني العـامي معروفـا ومستعملا لـدى العـام والخـاص ليشير الى مـدى اتسـاع علاقـات الفرد أو نفوذه لغرض التأثير على مراكز القرار في عدة مجالات من أجل تحقيق المصـالح الشخصيـة ، فـان كنت تملك بستون فانك تستطيع أن تحقق كل ما تريد حتى ولو استدعى ذلـك تجـاوز القوانين ، لكن اذا لم تمتلـك هـذا البيستون فـانـك لا تستطيع أن تحصـل على حقـوقـك حتى وان كان القـانـون بجانبك ويمكن أن يكون للفرد أكثر من بيستون واحد وهـذا يتوقف على مكانتـه في السلطـة أو في الجهاز البيروقراطي وعلى مـدى قوة نفوذه فيمكن أن يكون لـه مثلا بيستون في وزارة الصحـة والمؤسسات الصحيـة للحصول على الاذن بـالعلاج في أي مكان وفي أي وقت كان ، وبيستون آخر في الجمارك لادخال من الخارج مايريد دون توقيف ، أو دفع لحقوق الجمـارك وبيستون ثـالث في العدالة لتوجيه الأحكام وهلم جرا . أما اذا لم يكن للفرد سلطـة أو نفوذ فـانـه يلجـأ الى استعمال الرشوة كوسيلة لشراء البيستون .

ان هذا المرض الاجتماعي هو نتيجة للبيروقراطيـة المتفشيـة في جميع الادارات العموميـة والتي تتميز بجميع المظاهر السلبية كالتعسف والتباطؤ واللامبالاة والرشوة وعدم الكفاءة بـالاضـافـة الى استعمال التـأثير الشخصي للتكنـوقراطيين في تحريـك النظـام الاداري على هـواهم ، وقـد لاحـظ نيليس Nellis 1980 وهو أحد الملاحظين الخارجيين المهتمين بالنظام الاداري في الجزائر بأن الزائر للجزائر يرجع بانطباع سيء حول المعاملات الادارية التي تتميز بجميع المظاهر السلبية ، ويؤكـد على أن البيروقراطية الجزائرية تعتبر واحدة من أصعب ما يمكن التعامل معها وأنها أقل انتاجا . وقد يئس الجميع من هذا المرض الذي مس العام والخـاص ، وأصبح كل واحـد يتوق الى التغيير ، التغيير الذي تتغير فيه حتى القوانين البيروقراطية العقيمـة ، حينئـذ وحينئـذ فقـط يمكن احـداث تغيير ايجابي .

ان بروز الطاعة كقيمة ذات أهمية يرجع أيضا الى التقاليد المتبعـة في تنشئـة الأطفـال . لقـد سبق أن ذكرنـا على أن المعـاملـة الوالـديـة مع أطفـالهم تتميز بتوليـد التوتر من أجل تنميـة روح الكفاءة والاعتماد على الـذات الا أنهـا في نفس الوقت تعمل على تنميـة روح الطـاعـة والانقيـاد ، ولقـد أشـار بركات (1976) الى أن الأطفـال في الـدول العربيـة يـذكرون دومـا بوجوب طـاعـة الوالدين وعـدم منـاقشتهم في أوامرهم حتى وان كانوا مخطئين . ويضيف الى أن طـاعـة الوالـدين

وأفراد العائلة تعمم لتشمل كل من هم في السلطة كالمعلم والمدير والرئيس وغير ذلك .

الفروق الفردية في القيم بين الذكور والإناث

أوضحت نتائج هذه الدراسة وجود فروق في القيم بين الجنسين ذات دلالة معنوية هامة ، وكما نلاحظ في جدول (3) توجد قيمتين من القيم الغائية التي تميز بين الذكور والاناث هما التطور أو التقدم والاحترام الاجتماعي فقيمة التطور رتبتها النساء في المرتبة الخامسة في حين رتبها الرجال في المرتبة التاسعة أما قيمة الاحترام الاجتماعي فقد رتبتها النساء في المرتبة الثانية ورتبها الرجال في المرتبة السادسة .

جدول (3) متوسط الرتب وترتيب الجنسين للقيم الغائية

القيم الغائية	الذكور متوسط الرتب	ع = 205 الترتيب	الإناث متوسط الرتب	ع = 91 الترتيب	الدلالة الاحصائية ح ☆
الاحترام الاجتماعي	5,91	6	5,40	2	0,04
الاحترام الذاتي	4,93	2	5,43	3	0,28
تأمين المستقبل	4,69	1	4,66	1	0,88
التحصيل	6,14	8	5,62	5	0,28
التطور	5,88	5	6,62	9	0,02
الحرية	5,17	3	5,48	4	0,53
حياة مريحة	6,13	7	5,62	6	0,37
حياة نشيطة	6,92	10	6,57	8	0,56
علاقات جيدة	5,74	4	6,28	7	0,17
المتعة	8,07	11	7,57	11	0,22
المساواة	6,41	9	6,57	10	0,52

☆ تم الحصول على الدلالة الاحصائية (ح) للفروق بين الجنسين عن طريق تطبيق تقنية كروسكال وأليس Kruskal-Wallis لتحليل التباين اللامعلمي (siegel 1956) .

ان الإهتمام بالتطور والإحترام الإجتماعي من طرف الإناث يعكس الوضعية الحالية للمرأة في المجتمع الجزائري ، والتي يمكن القول أنها تعيش تحت قوتين أو تيارين متناقضين ، الأول وهو التيار التقليدي الذي يشد المرأة نحو الاحتفاظ بدورها التقليدي كربة بيت والثاني هو التيار المعاصر الذي يدفع المرأة نحو اندماج أكثر في العالم الخارجي ، ان ارتفاع مستوى التعليم وانتشار وسائل الاعلام خاصة السمعية والبصرية منها بالاضافة الى تأثير الحضارة الغربية قد جعل المرأة الجزائرية تشعر بحاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى الى تحسين وضعيتها في المجتمع وتطوير دورها ومساهمتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

أما اهتمام النساء بالاحترام الاجتماعي فيرجع ربما الى شعورهن بأنهن أقل تقديرا واحتراما . والاحترام الاجتماعي من أكثر القيم تأثيرا بالمؤثرات الخارجية ، فالذين يهتمون بها هم الذين يشعرون بأنهم محرومون منها والذين في نفس الوقت يتمنون أن ينظر إليهم باحترام وقد أشار باينر (1983) Pinr الى أن الأفراد الذين يعطون أهمية كبرى للاحترام الاجتماعي لهم قابلية لتحقيق مستوى ناجح من التكيف والتأقلم وهذا بوضع أنفسهم في الوضعيات التي تجلب احترام الآخرين لهم .

ويتبين من النتائج المجدولة (أنظر الجدول 4) وجود سبعة قيم من القيم الوسائلية تميز بين الجنسين ، أهمها الكفاءة أو الجدارة التي رتبها الرجال في المرتبة الثانية ورتبتها النساء في المرتبة السادسة ، والقيمة الثانية التي تميز بينهما هي الابداع أو الابتكار التي أعطيت المرتبة الأخيرة من طرف النساء والمرتبة السادسة من طرف الرجال . لكن في حين نجد أن النساء يعطين .

جدول (4) متوسط الرتب وترتيب الجنسين للقيم الوسائلية

القيم	الذكور متوسط الرتب	ع = 201 الترتيب	الاناث متوسط الرتب	ع = 89 الترتيب	الدلالة الاحصائية ح ☆
طموح	5,77	4	5,03	3	0,23
كفوء	4,10	2	6,17	6	0,00
مبدع	5,99	6	7,80	11	0,00
متسامح	7,08	9	5,62	5	0,00
مخلص	3,73	1	4,24	1	0,11
مرح	8,33	11	6,04	9	0,00
مسؤول	6,30	7	6,98	10	0,17
مستقل	6,49	8	5,49	4	0,02
مساعد	7,25	10	6,40	8	0,00
مطيع	5,13	3	5,00	2	0,77
منضبط	5,83	5	6,83	7	0,08

☆ تم الحصول على الدلالة الاحصائية للفروق بين الجنسين عن طريق تطبيق تقنية كروسكال وأليس لتحليل التباين اللامعلمي .

أهمية أكبر من الرجال لقيمة التسامح حيث يضعنها في المرتبة الخامسة مقابل المرتبة التاسعة من طرق الرجال ، بالاضافة الى هذا نلاحظ أن قيم المساعدة والمرح والاستقلالية أعطيت مراتب أعلى من طرف النساء مقارنة بالرجال وأن قيمة الانضباط أعطيت مرتبة أعلى من طرف الرجال مقارنة بالنساء .

ويبدو أن الاختلافات في القيم الوسائلية تؤكد وجهة النظر التي ترى أن قيم الكفاءة التي تحمل الجدارة والابتكار والانضباط هي الخصائص التي يتميز بها الذكور وأن القيم الأخلاقية

والاجتماعية أو ما يسمى عادة بالقيم اللينة easy going values مثل التسامح والمساعدة والمرح التي تتعلق أكثر بالعلاقات بين شخصية Interporsnel هي الخصائص التي تتميز بها الاناث ، وهذه النتيجة تشبه تلك التي وجدها كل من كاهل (1983) وروكايتش (1973) في استفتائهما للقيم الأمريكية فقد وجد روكايتش على سبيل المثال أن اهتمام الرجال بقيم التحصيل والكفاءة والطموح أكثر من اهتمام النساء بها وأن اهتمام الاناث بقيم السعادة والانسجام الداخلي والمرح والتسامح أكثر من اهتمام الرجال بها .

وهناك نظريتان تفسران هذا الاختلاف الأولى ويرى أصحابها (ستاين وبايلي Stein (1973 & Baily أن الرجال مدفوعون للتحصيل رغبة في تحقيق مستوى معين من الامتياز أو التفوق في حين تسعى النساء الى التحصيل عن طريق اسعاد الآخرين وجعلهم يكونون انطباعا ايجابيا حولهن أما النظرية الثانية فيرى أصحابها (دوقان وأدلسون Degan and Adelson 1966) أن دافع النساء للانتماء يقوم مقام الدافع الى التحصيل ، وعليه فان الشعور بالتحصيل يبرز للوجود حينما يكونن علاقات ناجحة مع الآخرين . ويبدو أن هناك تفسير ثالث يكامل بين النظريتين وهو أن النساء يشعرن ربما بأنهن لا يستطعن منافسة الرجال على الأقل في الكفاءات الجسمية والتقنية التي لا تجلب الاحترام فقط وانما تعتبر مصدرا للتأثير أيضا ، فانهن يركزن أكثر على الأنماط السلوكية الأخرى كاللطافة والمساعدة والتسامح التي يشعرن أنها من جهة تنقص الجنس الآخر وأنه لا يستطيع منافستهن فيها ، ومن جهة أخرى ارتباطها بدور المرأة الأول المتعلق بتربية الأطفال والعناية بهم والذين بدورهم يكونون أكثر احتياجا للمعاملة اللينة خاصة في سنواتهم الأولى ، بالاضافة الى أن هذه الأنماط السلوكية يمكن أن تكون مصدرا لتحقيق الحاجة الى التحصيل والاحترام .

وأخيرا نشير الى وجود تشابه بين الجنسين في بقية القيم الأخرى التي تعبر على واحدية الظروف التي يعيشها الجميع في المجتمع الجزائري فكلاهما مثلا يعطون نفس الأهمية لتأمين المستقبل ، أما الفروق في القيم الأخرى كالحرية والمساواة والحياة المريحة فهي لا تكاد تذكر .

الخلاصة والاستنتاج

تعرض هذا المقال الى استعراض نتائج الدراسة المسحية التي استهدفت دراسة نظام القيم الاجتماعية لدى عينة من المجتمع الجزائري في القطاع الصناعي وهذا باستعمال مقياس روكايتش لقياس القيم ، ونشير الى أن البحث الاستفتائي تعود على أن يهتم بقياس الاتجاهات أكثر من اهتمامه بالقيم وهذا ربما لاعتقاد على أن القيم صعبة القياس ولا توجد مقاييس لقياسها . وهذا بالرغم من أن القيم تمثل العناصر الأساسية في شخصية الفرد وأنها تشكل المركبات الأساسية في ثقافة المجتمع فهي كما تؤثر وتوجه سلوك الفرد ، تؤثر وتوجه أيضا سلوك المجتمع .

ولقد تـأكـد من نتـائج هـذه الـدراسـة على أن القيم تعتبر مؤشرات هـامـة للظروف الحـاليـة السياسية والاقتصادية والثقافية التي تعيشها البلاد ، فـاذا أردنـا أن نقيم هـذه النتـائج من وجهـة نظر ماسلو Maslow حول سلم الحاجات فانه سرعان ما يتبين أن الأغلبية من أفراد هـذه العينـة ما زالوا يكافحون من أجل اشباع الحاجـات الأوليـة الأسـاسيـة . إن بروز قيم تـأمين المستقبل ، والاحترام الذاتي والحرية في المراتب الثلاثة الأولى يدل على وجود عجز في مستوى المعيشة ونقص في الأمن والاستقرار السياسي والمهني . وفي نفس الوقت نجـد أن ظهور القيم السلوكيـة المتمثلـة في الاخلاص والكفاءة والطاعة في المراتب الثلاثة الأولى يدل على وجود تناقض في الأنماط السلوكية الممارسة في الحيـاة اليوميـة أي بين مـا يعتبر أخلاقيـا شيء حسن وبين مـا يـمارس في الواقع فعلى سبيل المثال ، نجد أن قيمة الاخلاص أخلاقيا ودينيا صفة حسنـة في كل الأوقـات والمنـاسبـات ، ولكن في الحياة اليومية نلاحظ العكس ، وعلى غرار دول العـالم الثـالث ، نجـد أن ظـاهرة عـدم الاخلاص ومرادفاتها كالكذب والخـداع وعـدم الوفـاء بـالعهـد من أهم المظـاهر التي تميز الحيـاة في مجتمعنا ، بسبب المشاكل البيروقراطية وندرة المواد التي تشبع الحاجات الأساسية .

ان هذه النتائج تعكس تماما المشـاكل التي كان ومـازال يمر بهـا المجتمع الجزائري والتي أدت في الواقع الى العصيان المدني في 5 أكتوبر والذي نجمت عنه مظاهرات صـاخبـة وتخريب لمؤسسـات الدولـة كالأروقـة وأسواق الفلاح التي أظهر المتظـاهرون عـداء مبـاشرا لهـا بسبب كونهـا المصـادر الأساسية لتوفير المواد الأساسية والتي أصبحت لسوء الحـظ بسبب النـدرة والمشـاكل البيروقراطيـة مكانا للرشوة والمحسوبية .

ويبدو أن الاصلاحات السياسية الجذرية التي نجمت عن أحـداث أكتوبر تؤكـد مـا سبق أن صرح بـه المفكر الهنـدي راو Rao (1971) من أن أول خطوة تجـاه التغيير السيـاسي والاقتصـادي هي تكوين اتجاهات سلبية وتذمر حول التخطيط الاقتصادي والسيـاسي الحـالي ، فـالفقير يجب أن يكون ساخطـا على الفقر قبل أن يتقـدم أحـدهم أو أي شخص آخر لنزعـه . الشعب يجب أن يتوق الى زيادة الدخل اذا أراد أن يخطو خطوات لزيادة دخلـه أو التعـاون مع من يمكنـه فعل ذلك .

ورغم أن هناك أسبابا متعددة ومتـداخلـة وراء أحـداث أكتوبر الا أنـه من وجهـة نظر القيم يمكن اعتبار هذه الأحداث طبيعية على غرار أي تغير نـاجم عن التطور في الفكر الانسـاني ، أن تطور الفكر يؤدي عـادة الى تغييرات جـذريـة في جميـع مجـالات الحيـاة السيـاسيـة والاجتماعيـة والاقتصادية والثقافية ، واذا قارنا بين جزائر 1962 وجزائر 1988 فاننا نجـد في الجـانب التعليمي 98 في المئة من أفراد الشعب آنذاك أميين ، ويكاد هذا الرقم اليوم أن يعكس حيث أن الغـالبيـة العظمى متعلمين . ومن الواضح أن التعليم يرفع مستوى الوعي والتوقعـات والطمـوحـات وينمي قيما جديدة تقاوم الاضطهاد والتسلط .

وقد بلغ الشعب الجزائري مستوى من النضج الفكري أين أصبح يشعر بحاجة ماسة الى الحرية الفردية والديمقراطية السياسية التي تسمح لكل واحد من المشاركة حسب قدراته في تسيير شؤون البلاد . ومن المعلوم أن ممارسة الحرية الفردية تحتاج الى وسائل عديدة منها الديمقراطية البرلمانية ، استقلالية القضاء ، دولة القانون ، حرية انشاء الجمعيات والنقابات وغير ذلك ولكن لسوء الحظ لم تكن توجد حرية فردية من هذا النوع في النظام السابق قبل الاصلاحات .

والحرية تعتبر طبعا ضرورة لأي دولة تحترم نفسها الا أن المتفق عليه هو أن الشرط الأساسي للحفاظ على الحرية هو التقدم الاقتصادي ، ان مضمون الحرية في حد ذاته يكمن في التطور الاقتصادي وتأمين مستوى معيشي كريم للمواطنين ، ورغم أن ادراك هذه المعادلة كان موجودا منذ الاستقلال مباشرة الا أن الوعي بأهميتها وخطورتها لم تبرز الا بعد أحداث أكتوبر .

لكن يجب أن نشير الى أن الحرية سيف ذو حدين ، فهي كما تستطيع أن تساهم في تطور البلاد وذلك بتشجيع الكفاءات وتسهيل الابداع تستطيع أن تساهم في تدميره ذلك أن سوء فهم أو سو استعمال الحرية قد يؤدي الى العصيان والفوضى ، وهو ما تمر به البلاد في الوقت الحاضر ، ونرجو أن تكون مرحلة انتقالية سريعة . انه مهما كانت الحرية الفردية مهمة فان التقيد والامتثال للثوابت والمعايير الأساسية شيء هام أيضا من أجل وحدة وسلامة وتطور المجتمع . وقد ثبت على أن الحرية ترتبط سلبا بكل من الالتزام التنظيمي والأداء في العمل (أنظر مقدم 1991) وقد أكد محمد بوضياف وهو من الرواد البارزين في ثورة نوفمبر أن الحل للخروج من الأزمة الحالية هو تطبيق نظام الصرامة وليس هذه الحرية الفوضوية (جريدة السلام) .

وختاما نشير مرة أخرى الى أهمية القيم كمؤشرات اجتماعية للظروف المعيشية في المجتمع ، وعليه فانه من المهم القيام بمسح من حين لآخر للقيم السائدة لدى أفراد المجتمع بغية تفقد الجو العام السائد واتجاه التغير الشيء الذي يساعد على اتخاذ التدابير اللازمة للاستجابة لهذه القيم . ولقد صرح تايلور (1977) Taylor على أنه اذا كان التغير الاقتصادي والاجتماعي مستمدا من القيم فان محاولاتنا للتنبؤ بالمستقبل دون النظر الى القيم تكون مضيعة للوقت والجدير بالذكر أن مسح القيم يجب أن يشمل الجماهير والقائمين على التخطيط ، ذلك أن هذه الفئة الأخيرة تؤثر على اتجاه التغيير ، والتعرف على قيمهم ضروري وهام لمعرفة ما اذا كانت لا تتناقض مع قيم الجماهير ، مثلما حدث عندنا أين كان مستوى المعيشة لأغلبية المواطنين دون الحد الأدنى والبطالة بدأت تهدد البلاد ، كان القائمون على التخطيط يهتمون بالتوسع في وسائل التسلية والترفيه وكل ما يرتبط بها وتؤكد نتائج هذه الدراسة على أن القيم المتعلقة بالحياة المبتهجة والمرح تأتي في المراتب الأخيرة من حيث الأهمية ، أي أنها هي آخر ما يفكر فيه الإنسان الجزائري .

المصـادر

1 – القرآن الكريم .

2 – الغزالي محمد (1985) «طبيعة المسلم» دار القلم دمشق .

3 – مقدم عبد الحفيظ «أثر القيم الفردية والتنظيمية وتفاعلها على الاتجاهات والسلوك المجلة الجزائرية لعلم النفس ، تحت الطبع 90 – 91 .

4 – جريدة السلام عدد 1 1990

5 – Ali, A., and Al-Shakhis, M., (1987), "Hierarchy of needs among school Administrators in Saudi Arabia", The Journal of Social Psychology, 127 (2).

6 – Baracat, H., (1976), "Socio-economic, Cultural and Personality Forces determining development in the Arab world", Social Praxis, 2 (3-4), 179-204.

7 – Barkow, J.H., (1975), "Strategies for self-esteem and Prestige in Naradi, Niger Republic", in T.R. Williams (ed.) 'Psychological Anthropology' Mouton Publishers, The Hague Paris.

8 – Devan E., and Adelson J., (1966), "The adolescent experience", N.Y., Wiley.

9 – Encyclopedea of Third World, (1987), 'Facts of File', Vol. 1, Lac New-York.

10 – Kahle, L.K., (1983), "Social values and social change", "Adaptation to life in America", N.Y., Praegen.

11 – Kluckhohn, C., (1951), "Values and value orientation in the theory of action", in Parsons, T., and Shils, E.A., (Eds.), 'Toward a theory of action, Cambridge, Harvard University Press.

12 – Lammont, W.D., (1955), "The value judgement", Edinburgh University Press.

13 – Linton, R.L., (1945), "Cultural Background of Personality", Appleton Century Croffts, Educational Devision, Merdith Corporation.

14 – Munroe, R., and others, (1975), "Africa" in HSU, FLK (Ed.), 'Psychological Anthropology', Schenkman, Publishing Company.

15 – Maslow, A.H., (1954), "Motivation and Personality", New-York, Harper.

16 – Nellis, J.R., (1980), "Maladministration: Cause or result of under-development ? The Algerian Example", Canadian Journal of African Studies 13 (B) 407-22.

17 – Perry, R.B., (1926), "General Theory of Value", Harvard University Press.

18 – Piner, K.E., (1983), "Individual differences in values", in Kahle, L.R., (Ed.), Social Values.

19 – Rokeach, M., (1973), "The Nature of Human Values", New-York, The Free Press.

20 – Rao, V.K., R.V., (1971), "Values and Economic Development: The Indian Challenge", Vikos Publications, Delhi.

21 – Scott, W.A., (1965), "Values and organizations: A study of fraternities and sororities", Chicago, Kand McNally.

22 – Siegel, S., (1956), "Non parametric statistics for the behavioral sciences", N.Y., McGraw-Hill.

23 – Smith, M.B., (1969), "Social psychology and human values", Chicago, Aldline.

24 – Stein, A.H., and Bailey, M.M., (1973), "The socialisation and achievement orientation in women", Psychological Bulletin, 80, 345-64.

25 – Taylor, G.R., (1977), "Prediction and social change: the need for basis in theory", Futures 9 (5), 404-414.